النسوية في الإسلام:
كيف تدافع النساء المسلمات عن حقوقهن

ألسو غوسمانوڤا و دانيس غرابيڤ
ترجمة: رسلان عامر

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2021
All rights reserved © 2021

النسوية في الإسلام:
كيف تدافع النساء المسلمات عن حقوقهن

كتابة: **ألسو ڤوسمانوڤا**[1]
دانيس ڤراييڤ[2]
ترجمة: **رسلان عامر**

1 - Alsu Gusmanova: كاتبة في مجلة "إنتر" (Enter)، من مدينة قازان عاصمة تتارستان ذات الحكم الذاتي في روسيا، التي يشكل المسلمون النسبة الكبر من سكانها.

2 - Danis Garayev: مؤرخ، عالم اجتماع روسي، وزميل باحث في قسم التاريخ في جامعة أمستردام، ويحمل شهادة الدكتوراه، كان يعمل في قسم العلوم السياسية التطبيقية في جامعة قازان الاتحادية عام 2012

حجاب صارم، قيم آبائية (بطرياركية) وعدم مساواة بين الجنسين؛ تقريبا مثل هذه الأفكار الجامعة هي ما يستدعيها العالم الإسلامي وكل ما يتعلق به، ومع ذلك، وعلى مدى عقود، كانت الآلاف من النساء اللواتي يعتنقن الإسلام يناضلن من أجل حقوقهن في صورة ناشطات نسويات.

هنا تكشف مجلة "إنتر" كيف يتم الجمع بين الإسلام والحركة النسوية (Feminism)، وما هي أسس هذه الحركة، ولماذا لا تنعكس دائمًا على النساء المسلمات أنفسهن؟

الإله اللاجنسي وأصول النسوية في الإسلام

بدأ الحديث عن النسوية في الإسلام علنا منذ وقت ليس ببعيد: فقد تم العثور على أول ذكر لهذا المصطلح في أواخر الثمانينيات، ولكن في القرن السابع، تم إجراء إصلاحات في المجتمع الإسلامي أدت إلى تحسن كبير في وضع النساء المسلمات، وتعلقت بإجراءات الزواج والطلاق وقضايا الميراث؛ فمنذ 14 قرنا، منح الإسلام المرأة حق التعبير عن موقفها، والزواج الطوعي وفرصة الحصول على التعليم بحرية، وقد جرى هذا في وقت لم تكن فيه بقية العالم تفكر في هذا المفهوم، الذي سمي فيما بعد بـ «المساواة بين الجنسين»، وفي التاريخ أيضًا، هناك العديد من الأمثلة التي كان فيها الجزء الأنثوي من السكان هو الذي يسهم بشكل كبير في تطوير المؤسسات التعليمية؛ ففي عام 859 م، أسست فاطمة الفهرية[1]، وهي ابنة تاجر ثري، جامعة "القرويين" إحدى أقدم الجامعات في العالم، وفي القرن الثامن عشر، عملت نانا أسماء[2]، ابنة المصلح (عثمان فودي) في ذلك الوقت، على زيادة التعليم بين النساء المسلمات.

من المفارقات الآن، أن الديانة نفسها في المملكة العربية السعودية، التي أطلق عليها العلماء تسمية "وطن الإسلام"، هي نفسها تستخدم كذريعة لقمع النساء، فبحسب النسويات الإسلاميات (Islamic feminists)، تُترجم النصوص المقدسة للقرآن وتُفسر من موقف مناسب للآراء الآبائية، فعلى سبيل المثال، لا توجد في الإسلام توصيات صارمة بشأن إلزامية الملابس المغلقة التي يتعين فيها على النساء المسلمات إخفاء وجوههن، وينطبق الشيء نفسه على العنف المنزلي، النابع من فكرة تفوق الرجال على النساء، وتفسر معارضات مثل هذا التفسير للدين ببساطة ظهور التحامل: بأنه في تلك السنوات التي كانت فيها السلطة

1 - فاطمة بنت محمد الفهرية القرشية (800-880 م)، الملقبة بأم البنين، هي امرأة عربية مسلمة تتحدر من سلالة عقبة بن نافع فاتح تونس ومؤسس مدينة القيروان، وقد أسست مع شقيقتها مريم جامع القرويين في مدينة فاس المغربية عام 859 م، الذي تطور إلى جامعة تدرس فيها علوم مختلفة.

2 - نانا أسماء (Nana Asma'u)، (1793-1864م.)، هي ابنة الشيخ عثمان دان فودي، مؤسس «خلافة صوكوتو» (Sokoto Caliphate) في نيجيريا، وقد سماها والدها بهذا الاسم تيمنا بأسماء بنت أبي بكر، وهي مترجمة للقرآن وشاعرة وناشطة نسوية، تتلمذت على يد والدها الفقيه في المذهب المالكي، والتابع للطريقة القادرية، منذ صغرها، فأتقنت أربع لغات من بينها العربية الفصحى، وقد أنشأت حلقات لتعليم النساء القراءة الكتابة وأعمالا متفرقة يعلن بها أنفسهن، فكان لها الفضل في تعليم عدد كبير منهن ومن أولادهم وبناتهم.

الآبائية تهيمن على المجتمع، اضطر مفسرو القرآن إلى التكيف مع المزاج العام لذلك العصر، وتبعا لذلك، وضعت تلك التفاسير بالشكل الذي كان مناسبا للرجال.

الآن تقول مؤيدات تفسير مختلف للإسلام، إن الله ليس له جنس، ما يعني أن الجميع متساوون أمامه: رجالًا ونساء، لذلك، فمن غير الممكن أن يتمتع شخص ما بحقوق كبيرة، ويستخدمها وفقًا لتقديره، وهذه هي واحدة من الأفكار الرئيسة للحركة النسائية الإسلامية الحديثة: العودة إلى أحكام الدين التي كانت موجودة منذ قرون خلت، ومع ذلك، فالمعارضون لفهم بديل للقرآن يعترضون بأنه إذا كان كل شيء كذلك، فلماذا لم يعلنه العلماء المسلمون العظماء في وقت مبكر؟

التحرر من الحجاب واختلاف وجهات النظر

لكن ليس كل شيء بهذه السهولة، فالنسوية في الإسلام فيها العديد من الفروق الدقيقة، وغالبًا ما تتعارض النسوية الإسلامية والنسوية العلمانية السائدة في الغرب، وبعض المقيمات في الغرب يقفن تحت راية النسوية الإسلامية، مع صورة مشوشة للمسلمات المضطهدات. هذه الصورة النمطية مستوحاة من وسائل الإعلام وقصص أولئك اللائي عانين حقًا من طغيان الذكور: العنف المنزلي، على سبيل المثال، وبالفعل هناك العديد من هذه القصص، ولكن في الوقت نفسه، يجب على المرء أن يفهم أن وضع المرأة في الشرق يعتمد أيضًا على الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها.

يمكن لأولئك اللائي ولدن في أسر تسود فيها وجهات نظر تقليدية قوية أن يقعوا في أيدي زوج طاغية ولا يتلقون الدعم من أقاربهم، وتشهد على ذلك، رواية الناشطة الباكستانية في مجال حقوق الإنسان مَلالة يوسفزَى[3]، التي تناضل من أجل حقوق المرأة منذ أن كانت في الحادية عشرة من عمرها، وهي في كتابها، تصف الحياة الصعبة للإناث في قرى باكستان، لكن في الوقت نفسه، في باكستان نفسها، شغلت بنازير بوتو منصب رئيس الوزراء لسنوات عديدة، قبل تعرضها لاعتداءين عام 2007، قتل أكثر من 130 شخصًا في أولهما، وقتل في الثاني 20 شخصًا، بمن فيهم بنازير بوتو نفسها.

تقول بعض ناشطات النسوية السائدة في أوروبا، في محاولة لمساعدة النساء المسلمات، أن الخلاص هو في التخلص من عقائد الإسلام، وبرأيهن، النسوية والدين الإسلامي غير متوافقين، والحجاب يكاد يكون

3 - Malala Yousafzai، ابنة الدبلوماسي والناشط التعليمي والشاعر الباكستاني ضياء الدين يوسفزي المعارض لطالبان، وهي من مواليد 12 يوليو 1997 من منطقة وادي سوات في مُقاطعة خيبر بختونخوا شمال غرب باكستان، التي كانت فيها حركة طالبان تحاول منع الفتيات من الذَّهاب إلى المدارس، وقد نشطت ملاله في الدفاع عن حق المرأة في التعليم، وتعرضت لمحاولة اغتيال من قبل أحد عناصر طالبان في 9 أكتوبر 2012وهي في الحافلة في الطريق إلى مدرستها؛ وقد حازت في عام 2014 على جائزة نوبل للسلام، وكانت بذلك أصغر من يحصل على هذه الجائزة، كما حصلت على العديد من الجوائز الدولية غيرها, وقد وضعت كتابا بعنوان "أنا ملالا» تتحدث فيه عن تجربتها.

رمزا للشراك التي تقع فيها نساء الشرق، حتى لو لم تكن الناشطات النسويات الإسلاميات أنفسهن على استعداد للتخلي عن هذا العنصر المألوف في روتينهن اليومي. مع ذلك، في القرن العشرين، مضت حركة المساواة بين الجنسين في العالم الإسلامي على غرار النسوية الغربية، وفقط بعد الثمانينيات من القرن العشرين سلكت طريقها الفريد، وأدركت النسويات الإسلاميات الفرق في قيم العالم الغربي والشرق، بما في ذلك وجهات النظر بشأن الحجاب..

إضافة إلى ذلك، تقول النساء المسلمات، إنه قبل أن تناضل من أجل حرية حقوق شخص ما، فأنت تحتاج إلى معرفة ما تفعله، وعلى سبيل المثال، خلال مؤتمر للأمم المتحدة، أخذت إحدى المشاركات الكلمة وصرحت بأنها تنظم مؤتمرها لمكافحة العنف ضد النساء المسلمات، لكن اتضح أن هذه المرأة ليس لديها أي تنظيم مواضيعي وأنها بشكل عام على دراية سيئة في هذا الأمر.

منذ ست سنوات، ظهر مصطلح «مجمع المنقذ الأبيض» (white savior complex) في وسائل الإعلام، وهو يدل على رغبة العالم المتحضر الغربي في رعاية الدول الأقل نموا. الجانب السلبي في ذلك هو في تبرير غرس القيم الديمقراطية، وبالتالي، يتم إنشاء عدد من الصور النمطية عن سكان وبلدان العالم الثالث التي تصدر من شاشات التلفزيون وصفحات المنشورات، وعلى وجه الخصوص، هذا ينطبق على الإسلام وأتباعه.

الربيع العربي والنسوية الإسلامية اليوم

استقبل مناصرو النسوية الإسلامية بالأمل الاضطرابات التي رافقت الربيع العربي، وبدأت في 2010-2011 ردا على السياسات الرسمية في الشرق الأوسط، وبعد موجة من الاحتجاجات الجماهيرية، تحسن وضع النساء قليلاً: بدأ "الاتحاد النسائي" في العمل في مصر، وأصبحت المنظمات النسائية في تونس واليمن والبحرين أكثر نشاطًا، ويربط مؤيدو النسوية انتشار أفكارها في الإسلام بالزيادة في معرفة القراءة والكتابة بين السكان الإناث في البلدان الشرقية، فوفقا لبيانات لأمم المتحدة، أصبحت النساء أكثر تعليما بثلاث مرات منذ السبعينيات من القرن الماضي، لكن مع ذلك، ماتزال هناك مشكلة في توظيف النساء المسلمات، فهذا الرقم، مقارنة بالسكان الذكور، متأخر مرتين على الأقل.

وعلى الرغم من التطورات الإيجابية، لا تزال المنظمات التي تعمل في قضايا المساواة بين الجنسين في الإسلام مهمشة، وأهمها الآن حركة تسمى بـ «مساواة»، وقد نشأت في ماليزيا في عام 2009 على أساس حركة «أخوات في الإسلام»، وتم تأسيسها من قبل النسويات الإسلاميات في العالم الشرقي وأوروبا، وهنّ

يدْعين إلى إصلاح قانون الأسرة، بما في ذلك الزواج الأحادي، وتفسير القرآن الذي ينص على المساواة بين الرجل والمرأة، وغالبا ما يساعد قضيتهم قانونيون ومحامون وخبراء في مجال القانون الدولي من كلا الجنسين، وهذه المنظمة تضم أكثر من 250 شخصية من مناطق مختلفة من 47 دولة.

في أصول المنظمة المدنية "أخوات في الإسلام"، التي ظهرت في التسعينيات من القرن الماضي، وقفت زينة أنور[4]، وقد تنقلت الناشطة النسوية الماليزية بين القرى المحلية لإطلاع النساء على حقوقهن، وبرأيها، من الممكن تغيير الموقف إذا تم استخدام مبادئ الإسلام بشكل صحيح، وتهدف الحركة ليس فقط إلى كسر الصورة النمطية لعدم المساواة بين الجنسين في الدين الإسلامي، ولكن أيضًا إلى إعادة رسم القوانين في البلاد وتكييفها مع أفكار المساواة.

وتقول زينة أنور شارحة موقفها: «هناك فجوة بين إيماننا بالله، وهذا أمر عادل، وما تقوله السلطات عن الدين.. وما يؤلمني أكثر من غيره، هو أنه عندما تبكي النساء، وتشتكين من وضعهن التعيس، يلجأن إلى النخبة الدينية طلبًا للمساعدة، بعد أن يفشلن في إيجاد مخرج، لكنهن يحصلن على الجواب بأن هذا ما يجب أن تكون الأمور عليه، لأن هذه هي قوانين الإسلام».

أحد الأمثلة على ذلك هو رفض بعض النساء المسلمات لوسائل منع الحمل في حين أن أزواجهن مصابون بالإيدز، وهن يعتقدن أن مثل هذه المحاولة لحماية أنفسهم من فيروس نقص المناعة البشرية ليست مناسبة للزوجة وهي مظهر من مظاهر العصيان.

تصر النسويات الإسلاميات على المساواة في المسجد، وتعترض الناشطة هند مكّي على المساحة الضيقة المخصصة للنساء؛ فغالبًا ما تكون قطاعات صلاة النساء مختلفة اختلافًا جذريًا عن تلك التي للذكور: فهي في العادة متداعية وخانقة وصغيرة، وتنشر هند مكّي[5] رسائل وصور من نساء مسلمات على الشبكات الاجتماعية على أمل أن يتم الاستماع إليهن، وأن يتغير الوضع. شخصية مشهورة أخرى في هذا المجال هي أمينة ودود[6]، أول امرأة إمام، وقد كانت أول من يلقي خطبة جمعة على جمهور مختلط في نيويورك عام

4 - زينة أنور هي رئيسة بارزة لمنظمة المجتمع المدني «أخوات في الإسلام» غير الحكومية في ماليزيا، وهي ناشطة نسوية مسلمة. وقد ترأست المنظمة لأكثر من عقدين، وفي عام 2013 تم اختيارها من قبل المتحف العالمي للنساء كواحدة من أكثر عشر نساء مسلمات تأثيراً.

5 - هند مكي: (Hind Makki)، أمريكية من الجيل الثاني من السودانيين، وهي معلمة في الحوار بين الأديان ومناهضة العنصرية، حاصلة على شهادة في العلاقات الدولية من جامعة براون، وتعمل على تحسين وصول النساء المسلمات إلى المساجد في أمريكا الشمالية، وتقوم بتطوير وتقديم دورات تدريبية حول الاندماج المدني من خلال العمل بين الأديان والتربية المناهضة للعنصرية وتمكين الشباب.

6 - أمينة ودود: (Amina Wadud)، أمريكية من أصل إفريقي، اعتنقت الإسلام في عام 1972، تخرجت عام 1975 من جامعة بنسلفانيا بشهادة بكالوريوس في العلوم، حصلت على درجة الماجستير في دراسات الشرق الأدنى ودرجة الدكتوراه في الدراسات العربية والإسلامية من جامعة ميتشغان في عام 1988، وفي يوم الجمعة 18 آذار عام 2005 ترأست ودود الصلاة كإمام لمجموعة تضم حوالي 60 امرأة و40 رجلًا جالسين معًا دون أي فصل بين الجنسين.

2005، ووفقا لمعتقداتها كل من الرجال والنساء متساوون أمام الله، وبالتالي كلاهما لهما نفس الحق في أن يصبحا إماما.

وماذا عن النسوية الإسلامية في روسيا؟

الحركة، المنتشرة في جميع أنحاء البلاد الشرقية، أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، تتجذر في روسيا على مضض، وعلى هذا النحو، لا يوجد مجتمع نسوي منظم بوضوح في البلاد، والموجود بالأحرى ليس صراعًا من أجل المساواة في الحقوق مع الرجال، ولكنه صراع مع الصور النمطية عن الإسلام، وعلى سبيل المثال، القدرة على المشي بهدوء في الحجاب في أية مدينة روسية، دون التعرض للإحراج والتحيز من الآخرين، وإذا كان الأمر أسهل في المناطق التي يعيش فيها كثير من المسلمين، فإن الوضع مختلف في البقية، وأصحاب العمل ليسوا مستعدين دائمًا لعلاقات متفهمة مع استراحات الصلاة أو الموظفات اللاتي يرتين وشاحًا في كل الأيام.

في الوقت نفسه، هناك العديد من النساء المسلمات في روسيا يشغلن مناصب عليا في منظمات مختلفة، أما فيما يتعلق بالمواقف تجاه المرأة المسلمة، فهي تعتمد على المنطقة، ففي شمال القوقاز، لا تزال هناك تقاليد "اختطاف العرائس" أو "تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية" (female genital mutilation)، وبعد دراسة أجريت في قرى مرتفعات داغستان[7]، تبين أن 80 ٪ من النساء يعانين من العنف من الأزواج؛ لكن مع ذلك، الآن، بين الجيل الجديد الذي يعيش في هذه الأماكن، يظهر نشطاء محتجون يقولون أن الوقت قد حان لتحديث عدد من التقاليد، على الأقل، حتى تشعر المرأة المحلية بالحماية من مظاهر العنف والخروج على القانون، والتي غالباً ما تبررها عادات المنطقة[8].

في فترة ما بعد الحقبة السوفيتية، خلال عقد الألفية الأول في قازان، كانت الرغبة الطوعية في ارتداء الحجاب في كثير من الأحيان أمرًا شائعًا، وأحيانًا حتى من خلال الصراع مع أولياء الأمور وعدم تفهم البيئة المحيطة، وهذا ينطبق على النساء المسلمات من الأسر العلمانية، لكن يبدو لي أنه لا يوجد الآن في قازان نساء نسويات مسلمات، وإنما هناك فتيات يمارسن الإسلام وينتقدن في الوقت ذاته عناصر النظام الأبوي، وهناك انقسام تقليدي: المسجد هو أرض الرجال، ولكن في الوقت نفسه، بدأت النساء يقلن أنهن يرغبن أيضًا في الحصول على التعليم في المدرسة الدينية على قدم المساواة مع الجميع، وهكذا، في المعهد الإسلامي الروسي، على سبيل المثال، ظهرت المعلمات، كذلك أمكن أيضا تحقيق حضور النساء في خطب الجمعة،

7 - المناطق المذكورة هنا من روسيا الاتحادية هي مناطق أكثرية سكانها مسلمة.

8 - الجزء التالي من المقال هو من كتابة دانيس غراييف

وهن لم يكن مضطرات للذهاب إلى صلاة الجمعة، لكنهن يردن القيام بذلك بأنفسهم؛ لأن لديهن هذا الحق، وبالتالي، فإنهن بذلك يشرن إلى وجودهن في المسجد.

في قازان وروسيا ككل، هناك العديد من المنظمات الخيرية والعامة التي تترأسها النساء، على سبيل المثال، مدير مركز إعادة التأهيل «ياردم» (Yardem). النساء المسلمات في بلدنا يصنعن مهن ويشغلن مناصب قيادية، وهذا يعني أنه في الممارسة العملية، تجسد الكثيرات منهن المبادئ النسوية، ولكن بسبب الموقف السلبي من كلمة «النسوية»؛ فهن لا يعتبرن أنفسهن أتباعا لهذه الحركة.

بشكل عام، نشأت الحركة النسائية الإسلامية قبل عدة عقود في أوروبا والشرق الأوسط، وبالمناسبة في الشرق هناك بعض الحذر فيما يخص مصطلح «النسوية» (feminism)، وبدلاً من ذلك، يحاولون استخدام مصطلح «النشاط النسائي» (female activism). الحركة النسوية الإسلامية لها العديد من المعاني: في بعض الأحيان يتم فصلها عن الإسلام؛ لأن النسوية تعتبر من مواليد الغرب، وقد تم بناؤها وفقًا لمعاييره، لكن النسوية الإسلامية أكثر ارتباطًا بالدين والنصوص المقدسة والروايات التي تفيد بأن النبي محمد كان نسويًا، وسهّل وضع المرأة إلى حد كبير في تلك الأيام، فهو على سبيل المثال، أنقذ المجتمع من قسم من التقاليد العربية الظالمة التي كانت موجودة قبل تبني الإسلام.

لذلك، في البيئة الإسلامية وفي روسيا، لم تتجذر كلمة «النسوية»؛ لأنها مرتبطة بشيء ليبرالي للغاية، علاوة على ذلك، فهذه الحركة في الغرب والشرق مختلفة تمامًا، والنسويات المسلمات تقلن للنسويات الغربية: «أنتن تؤيدن تحريرنا، لكن نموذجكن للتحرير ورؤيتكن لماهية الحرية تختلف عن نظرتنا»، وتعتقد النسويات في العالم الشرقي بأن النسويات في الغرب يبثّ عليهن مفهومهن للمعايير الثقافية وكيف ينبغي للمرأة أن تتصرف، ويلاحظن أن هذا يبدو وكأنه استعمار ثقافي تحت ستار التحرير.[9]

9 - تجدر الإشارة أن الحواشي في هذه الترجمة عن الأصل الروسي هي من إضافة المترجم.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com
www.mominoun.com

All rights reserved © 2021

جميع الحقوق محفوظة © 2021